



المرأة في المجتمع النوبي: رؤية سوسيولوجية تاريخية

دعاء أحمد علي عبدالكريم

معيدة ومسجلة بالدراسات العليا بقسم علم الاجتماع - كلية
الآداب - جامعة جنوب الوادي

أ.د/ محمد محمود خضر سعيد

أستاذ بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

د/ هالة علي محمد

أستاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة جنوب
الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2025.344932.2127

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - المجلد (٣٤) العدد (٦٧) أبريل ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: <https://qarts.journals.ekb.eg>

المرأة في المجتمع النوبي:

رؤية سوسيولوجية تاريخية

الملخص:

تتناول هذه الدراسة دور المرأة في المجتمع النوبي من منظور سوسيولوجي تاريخي، حيث تسلط الضوء على إسهاماتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الحفاظ على الهوية النوبية. تعتمد الدراسة على منهجية الإثنوغرافيا النوعية، من خلال تحليل المحتوى والمقابلات مع مصادر تاريخية ووثائقية. وتشمل الأسئلة البحثية المحورية: كيف تطور دور المرأة النوبية عبر التاريخ؟ وما هي العوامل التي أثرت على مشاركتها في المجتمع؟ يتم تأطير البحث ضمن نظريات الوظيفية البنوية والأنثروبولوجيا الثقافية لفهم التغيرات والتحديات التي واجهتها المرأة النوبية. تُظهر النتائج أن المرأة النوبية لعبت دورًا حاسمًا في نقل التراث الثقافي والتكيف مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، مما يؤكد أهميتها في استمرارية الهوية النوبية.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ المجتمع؛ النوبي

مقدمة:

بلاد النوبة، الواقعة جنوب مصر وشمال السودان، تُعرف بخصوصيتها الثقافية الفريدة التي تمتد عبر آلاف السنين. يُعدُّ المجتمع النوبي من المجتمعات التي واجهت تحديات كبيرة، من بينها التهجير والتغيرات البيئية والاقتصادية، مما أثر بشكل مباشر على دور المرأة في هذا المجتمع. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وتحقيق فهم أعمق لدور المرأة النوبية من منظور سوسولوجي تاريخي، من خلال استقراء التحولات التي طرأت عليها عبر العصور.

أسئلة البحث

١. كيف ساهمت المرأة النوبية في الحفاظ على الهوية الثقافية عبر التاريخ؟
٢. ما هي التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على دور المرأة في المجتمع النوبي؟

٣. كيف تكيفت المرأة النوبية مع المتغيرات التي طرأت على مجتمعتها؟

الأهداف العامة:

١. تحليل دور المرأة النوبية في المجتمع عبر العصور المختلفة، مع التركيز على التغيرات التي طرأت على مكانتها الاجتماعية والاقتصادية.
٢. دراسة تأثير العوامل الثقافية والتاريخية على المرأة النوبية، بما في ذلك العادات والتقاليد والموروث الشعبي.
٣. استكشاف التحديات التي تواجه المرأة النوبية في العصر الحديث، مثل الهجرة، الحداثة، وتأثير وسائل الإعلام.

الأهداف:

١. توثيق التقاليد والعادات المرتبطة بدور المرأة في المجتمع النوبي.

٢. تحليل دور المرأة في الأسرة النوبية قديماً وحديثاً وتأثير التغيرات الاجتماعية عليها.

٣. دراسة مشاركة المرأة النوبية في سوق العمل والتعليم ومدى تأثيرها بالعوامل الثقافية والاقتصادية.

٤. استكشاف دور المرأة النوبية في الحفاظ على الهوية الثقافية والتراث.

٥. تقييم تأثير الهجرة القسرية والتنمية على أوضاع المرأة النوبية في المجتمعات الجديدة.

أهمية البحث:

- يسلط الضوء على الهوية الثقافية للمرأة النوبية ودورها في المجتمع.
- يساهم في فهم كيفية تفاعل النساء النوبيات مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية.
- يوفر قاعدة معرفية يمكن الاستفادة منها في دراسات مستقبلية حول المجتمعات النوبية والتغيرات الثقافية.

المنهجية تعتمد الدراسة على منهجية الإثنوغرافيا النوعية وتحليل المحتوى التاريخي، حيث تم استخدام المصادر التاريخية، والمقابلات مع أفراد من المجتمع النوبي، وتحليل الوثائق والبحوث السابقة. كما تم الاعتماد على التثليث المنهجي (Triangulation) لضمان موثوقية النتائج، من خلال مراجعة الأقران واستخدام مصادر متعددة.

عينة البحث ومجالاتها

نظراً لأن البحث يتناول المرأة في المجتمع النوبي من منظور سوسيولوجي تاريخي، فإن العينة يجب أن تكون ممثلة لمختلف فئات النساء النوبيات عبر الأجيال والمناطق، بالإضافة إلى بعض الخبراء والباحثين في الدراسات النوبية.

نوع العينة

- **عينة قصدية (Purposive Sampling):** يتم اختيار المشاركات بناءً على معايير محددة مثل العمر، والمهنة، والموقع الجغرافي، والخبرة في الحفاظ على الثقافة النوبية.
- **عينة طبقية (Stratified Sampling):** يتم تصنيف العينة إلى فئات مختلفة لضمان التمثيل العادل لمختلف الفئات النسائية النوبية.

معايير اختيار العينة

- الإناث النوبيات ممن لديهن خبرة مباشرة في العادات والتقاليد النوبية.
- نساء عشن في النوبة القديمة قبل التهجير، وأخريات من الأجيال الجديدة بعد الهجرة.
- تنوع في المستويات التعليمية والاقتصادية لمراعاة الفروقات الاجتماعية.

مجالات البحث:

١. المجال الزمني:

- يغطي البحث الفترات التاريخية المختلفة، بدءًا من الحضارات النوبية القديمة (كرمة، كوش) وحتى العصر الحديث، مع التركيز على التحولات بعد تهجير النوبيين في الستينيات.

٢. المجال المكاني:

- النوبة القديمة (المناطق الأصلية قبل بناء السد العالي)
- المجتمعات النوبية الجديدة (القرى النوبية الحديثة في أسوان وخارجها)
- أماكن انتشار النوبيين في الشتات (القاهرة، السودان، دول الخليج)

٣. المجال الموضوعي:

- الأدوار الاجتماعية والثقافية للمرأة النوبية.
 - تأثير التغيرات الاجتماعية والتاريخية على مكانة المرأة.
 - دور المرأة في الحفاظ على التراث النوبي ونقله للأجيال القادمة.
 - التحديات التي تواجه المرأة النوبية في ظل العولمة والهجرة.
- الإطار النظري يستند البحث إلى نظريات متعددة، من بينها:
- الوظيفة البنوية: التي تساعد في تحليل دور المرأة داخل البنية الاجتماعية النوبية.
 - النظرية النسوية: لفهم التحولات في أدوار المرأة وتأثيراتها في المجتمع.
 - الأنثروبولوجيا الثقافية: التي تسلط الضوء على أهمية المرأة في الحفاظ على العادات والتقاليد النوبية.
- نستعرضها في المحاور التالية:

المحور الأول: التعريف بالنوبة:

- تمهيد:

بلاد النوبة، الواقعة جنوب مصر، تتميز بخصوصيتها الثقافية وهويتها الفريدة، مما يجعل الكتابات والبحوث التي تتناول عاداتها وتقاليدها ذات أهمية بالغة، إنها تسلط الضوء على تاريخها العريق، نشأتها، وحضارتها المتعاقبة، التي شكّلت علامة فارقة في التراث الإنساني، وتتميز النوبة بثقافة فريدة تؤكد كتب التاريخ على أصالة العرق النوبي الذي تعود جذوره إلى آلاف السنين، وقد صنّفت منظمة اليونسكو النوبيين ضمن الشعوب العريقة ذات الجذور الأصيلة، فهم يمثلون جزءاً لا يتجزأ من التراث الإنساني، هذه المنطقة البعيدة جغرافياً عن المركز، والقريبة من القلب، واجهت عبر العصور تحديات جمة

ومشكلات عدة، لكنها ظلت متمسكة بهويتها وقيمها الحضارية (فؤاد عكود، ٢٠٠٧، ص ٢٠-٥٠).

ويشكّل هذا البحث محاولة لفهم الدور المحوري الذي لعبته المراة النوبية عبر التاريخ، مستعرضاً أدوارها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ساهمت في تشكيل هوية المجتمع النوبي، ومن خلال استقراء ملامح هذه الأدوار، يسعى الفصل إلى تسليط الضوء على مكانة المراة في هذا المجتمع التقليدي، وكيف أسهمت في الحفاظ على التراث النوبي ونقله عبر الأجيال، مع إبراز التحديات التي واجهتها في ظل التحولات التاريخية والاجتماعية التي مر بها المجتمع النوبي، سواء في مواجهة التغيرات البيئية مثل الهجرة والتهجير، أو التحولات الاجتماعية والاقتصادية، مع التركيز على مرونتها وقدرتها على التكيف مع المتغيرات، مما جعلها عنصراً أساسياً في استمرار الهوية الثقافية للمجتمع النوبي.

أ. منطقة بلاد النوبة:

تبدأ منطقة النوبة الممتدة جنوب الخرطوم في السودان، حيث يلتقي النيل الأزرق بالنيل الأبيض (Necia Desiree, 2006, p. 23)، وقد ارتبطت النوبة بمصر عن طريق نهر النيل الذي يتدفق عبر البلدين وصولاً إلى البحر المتوسط، حيث عُثر في هذه المنطقة على ستة ممرات صخرية ضيقة تُسمى الشلالات، وهي مناطق تتعرض لنتوء الجرانيت من تحت الحجر الرملي الناعم الذي يغطي معظم وادي النيل، ويقع الشلال الأول جنوب أسوان بين مصر والنوبة، بينما يفصل الشلال الثاني بين النوبة العليا (الجنوبية) والنوبة السفلى (الشمالية). (Janice Kamrin, 2020, p. 45).

ب. حضارات بلاد النوبة:

كانت بلاد النوبة مقراً لإحدى أقدم الحضارات في أفريقيا القديمة، وهي حضارة كرمة التي استمرت منذ حوالي ٢٥٠٠ ق.م حتى غزوها من قبل المملكة المصرية الحديثة

في عهد تحتمس الأول حوالي ١٥٠٠ ق.م، واستمرت تحت سيطرة مصر حتى تفكك المملكة نحو ١٠٧٠ ق.م (National Geographic Society, 2018, p. 12). كما كانت النوبة موطنًا لمملكة كوش، التي غزت مصر في عام ٧٢٧ ق.م في عهد الملك بعنخي، حيث حكمت مصر باعتبارها الأسرة الخامسة والعشرين حتى حوالي ٦٥٦ ق.م (Saheed, 2017, p. 67).

ج. تسمية بلاد النوبة:

اسم "النوبة" مشتق من قبائل النوبة البدو أو "النوبادي"، الذين استقروا في المنطقة في القرن الرابع الميلادي بعد انهيار مملكة كوش. كانت النوبة تنقسم إلى منطقتين رئيسيتين: النوبة العليا والنوبة السفلى. النوبة السفلى، التي كانت تُعرف بـ"الووات"، تقع في الجزء الشمالي من وادي النيل (Robert G. Moreot, 2016, p. 33). لم تكن كلمة "النوبة" معروفة أو متداولة في التاريخ القديم، إذ أطلق عليها اسم "تا-سيتي"، بمعنى "أرض القوس". أما الإغريق فقد أطلقوا على النوبيين اسم "الإثيوبيين"، أي "أصحاب الوجوه السوداء". ويذكر الطبري في تاريخ الرسل والملوك أن النوبيين ينحدرون من "نوبة بن حام بن نوح"، بينما أشار المسعودي في مروج الذهب إلى أن حام بن نوح كان له ابن يُدعى كوش، وهو الجد الأعلى للنوبيين. وأجمع علماء الآثار والمصريات على أن النوبة الحالية جزء أصيل من قدماء المصريين، حيث استقروا لفترات طويلة في جنوب مصر.

د. أصول بلاد النوبة:

حدّد علماء الآثار والمصريات المراحل التاريخية والثقافية للنوبة. ففي العصر الحجري، دلت المدافن وفحص الهياكل العظمية في وادي النيل على وجود النوبيين، مع اكتشاف أدوات للصيد مثل الفؤوس والرماح ذات الرؤوس المدببة والأواني الفخارية. أما في عصر الأسرات (١-٣)، كانت النوبة قليلة السكان، لكن الدلائل تشير إلى وحدة

السلالة بين الشمال والجنوب، إذ كانت طريقة دفن الموتى متشابهة. (عبد المجيد خليل، ٢٠١٨، ص ١٠).

● ومن هنا، فالنوبة منطقة تاريخية تمتد جنوب الخرطوم في السودان وصولاً إلى مصر، وترتبط بها جغرافياً عبر نهر النيل، الذي شكّل حلقة وصل بين البلدين. تضم النوبة ستة شلالات صخرية مميزة، وكانت موطناً لحضارات عريقة، أبرزها حضارة كرمة (٢٥٠٠-١٥٠٠ ق.م) ومملكة كوش، التي حكمت مصر خلال الأسرة الخامسة والعشرين. اسم "النوبة" مشتق من القبائل النوبية التي استقرت في المنطقة بعد انهيار مملكة كوش، بينما أطلق عليها الإغريق "الإثيوبيين" بمعنى "أصحاب الوجوه السوداء"، وكان يُعرف الجزء الشمالي منها بـ"الووات" أو "تا-سي تي" أي "أرض القوس". كشفت الدراسات الأثرية عن وجود النوبيين منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث كانوا مرتبطين بمصر ثقافياً وجغرافياً، ما جعلهم جزءاً أصيلاً من تاريخها وحضارتها.

المحور الثاني: تاريخ النوبة:

كانت بلاد النوبة السفلى، الواقعة بين الجندلين الأول والثاني، جزءاً من الوطن المصري منذ أقدم العصور. يُرجّح أن الإنسان الأول استوطن النوبة كما استوطن مصر منذ العصر الحجري القديم، حيث وُجدت آثاره ممثلةً في أدواته الحجرية في مدرجات النيل. تميز هذا العصر بمناخ مطير أفضى على الهضاب والتلال المجاورة للنيل ثراءً نباتياً وحيوانياً، مما أتاح للإنسان حياة متنقلة قائمة على الصيد وجمع الثمار. مع نهاية العصر المطير وبداية الجفاف، اضطر الإنسان إلى الاستقرار حول مجاري المياه، مما أدى إلى نشوء حياة مستقرة قائمة على الزراعة، وظهرت حضارة متأثرة بالبيئة الجديدة. تشير الدراسات الأثرية إلى أن النوبة السفلى شهدت استقراراً بشرياً منذ الألف الخامسة قبل الميلاد، حيث عاش سكانها في مستوى حضاري مشابه للمصريين في عصور ما

قبل التاريخ، إذ استخدموا نفس الأواني الفخارية وأدوات الزينة (عبد المنعم أبو بكر، ٢٠٢٢، ص ص ٣٠-٦٥).

● تقسيم العصور إلى مجموعات حضارية:

- المجموعة (أ) (٣١٠٠-٢٧٠٠ ق.م):

ازدهرت حضارة المجموعة (أ) بين الشلالين الأول والثاني من حوالي ٣٨٠٠ ق.م إلى ٣١٠٠ ق.م، وتميزت بوجود تحف فنية وأدوات شبيهة بما وُجد في مصر ما قبل الأسرات. وُصف سكان هذه المجموعة بأنهم يشبهون المصريين عرقياً (مختار جمال، ١٩٨١، ص ١٤٨). كانت لديهم علاقات تجارية وثيقة مع المصريين القدماء، حيث تبادلوا منتجات محلية مثل البخور والعاج والأبنوس مقابل منتجات مصرية وحوض البحر المتوسط، كزيت الزيتون. اعتمدت ثقافتهم على الرعي، الزراعة البدائية، الصيد، وجمع الثمار، وتركوا وراءهم مقابر متعددة تحتوي على أدوات فخارية وهياكل عظمية شبيهة بسكان صعيد مصر (Peter, 2013, pp. 43-55). انتهت حضارة المجموعة (أ) حوالي ٣١٠٠ ق.م بعد تدميرها على يد حكام الأسرة المصرية الأولى.

- المجموعة (ب) (٢٧٠٠-٢٣٠٠ ق.م):

شهدت المجموعة (ب) ظهوراً بعد انهيار المجموعة (أ). أظهرت الدراسات أن حضارة المجموعة (ب) كانت أقل تطوراً من سابقتها (Henry Smith, 1996, pp. 69-124).

- المجموعة (ج) (٢٣٠٠-١٦٠٠ ق.م):

تطورت حضارة ما قبل كرمة إلى المجموعة (ج)، التي استوطنت المنطقة وتفاعلت مع ثقافة ما قبل كرمة. استمرت المجموعة في صناعة الفخار الأحمر ذا الأطراف السوداء، مع تنوع في الأشكال (Peter, 2018, p. 50). بحلول عام ٢٠٠٠

ق.م، تلاشت آثار المجموعة (ج) في النوبة العليا، وظهرت ثقافة كرمة التي هيمنت على المنطقة.

- ثقافة كرمة (١٧٠٠ ق.م):

أصبحت النوبة العليا مركزاً للقوة، وبدأت النصوص المصرية تشير إلى مملكتين في النوبة: كوش وشعت، حيث كانت كرمة مركز كوش، وجزيرة صاي مركز شعت. يُعتقد أن مملكة كوش سيطرت فعلياً على النوبة العليا (David O'Connor, 1993, p. 29).

- حضارة كرمة: نشأتها وتأثيرها في التاريخ القديم:

تعد حضارة كرمة واحدة من أقدم الحضارات التي استوطنت حول نهر النيل بعد نهاية العصور الجيولوجية المطيرة، عندما جفت الصحراء الكبرى، وذلك حوالي ٧٠٠ كم جنوب أسوان. يقال إن آثار الاستيطان البشري في هذه المنطقة تعود إلى نحو ١٠,٠٠٠ سنة. ومن بين الأدلة التي تم العثور عليها في المنطقة، وجود ديانة قديمة تضمنت طقوساً تتعلق بالقرابين البشرية، ربما قبل دخول الدين المصري مع الدولة الحديثة. كما وُجدت أواني وأدوات مصرية قديمة، مما يدل على وجود تجارة بين النوبة ومصر في تلك الفترة. كما قامت حضارة كرمة بغارات على جنوب مصر، حتى اجتاحتها تحتتمس الثالث، ضمها إلى مصر وبنى معبد آمون في المنطقة (وائل عباس، ٢٠٢١، ص ص ١١-١٣).

كما تأسست حضارة كرمة حوالي ٢٥٠٠ ق.م في مدينة كرمة، وتعد واحدة من أقدم المراكز الحضارية في وادي النيل. كان سكانها يتحدثون اللغة الكوشية، ومن المحتمل أن يكونوا أسلاف الكوشيين. بحلول عام ١٦٥٠ ق.م، أصبح ملوك كرمة أقوى بما يكفي لبناء جدران ضخمة وهياكل من الطوب اللبن، إضافة إلى مقابر غنية بالممتلكات التي اعتقدوا أنها سترافقهم في الآخرة (David O'Connor, 1993, pp. 185-190).



شكل رقم (١) يوضح منطقة حضارة كرمة.

وازدهرت المملكة من حوالي ٢٥٠٠ ق.م حتى ١٥٠٠ ق.م في النوبة القديمة، وتركزت في الجزء الجنوبي من النوبة، أو ما يُعرف بـ"النوبة العليا" (المناطق الواقعة في شمال ووسط السودان الحالي). في وقت لاحق، توسع نفوذها شمالاً ليشمل النوبة السفلى وحدود مصر (Hafsaas-Tsakos, Henriette, 2009, pp. 50-70).

وعندما استعاد المصريون سلطتهم تحت حكم المملكة المصرية الحديثة (١٥٣٢-١٠٧٠ ق.م)، كان لديهم طموحات في التوسع جنوباً، فدمروا مملكة كرمة ووسّعوا إمبراطوريتهم حتى الشلال الرابع. بحلول نهاية عهد تحتمس الأول (١٥٢٠ ق.م)، تم ضم النوبة السفلى إلى مصر، كما أنشأ المصريون مركزاً إدارياً جديداً في نبتة (عبد المنعم أبو بكر، ٢٠١٧، ص ٧).

وأصبحت ثقافة كرمة أكثر تأثراً بمصر، ولكن التمردات استمرت لمدة ٢٢٠ عاماً (حتى ١٣٠٠ ق.م)، وخلال المملكة الحديثة، أصبحت كرمة/كوش مقاطعة هامة في

الإمبراطورية المصرية من الناحية الاقتصادية والسياسية والروحية. كما أقيمت بعض الاحتفالات الفرعونية الكبرى في جبل البركل بالقرب من نبتة، حيث أنشأها تحتمس الثالث، بما في ذلك معبد آمون الكبير، والذي يتضمن وعاء مزين بزخارف لولبية من كرمة في متحف الفنون الجميلة في بوسطن (-Walter B. Emery, 2008, pp 211-253).

وحافظت المملكة المصرية الحديثة على سيطرتها على النوبة السفلى والمتوسطة، مع تعيين نائب للملك في كوش، أو ما يُعرف بـ"ابن الملك في كوش". كما تم إنشاء مستوطنات مصرية في جزيرة صاي وفي أماكن أخرى مثل مرجسا. واستمرت منطقة قبان في لعب دور استراتيجي في عمليات تعدين الذهب في الصحراء الشرقية (David Edwards, 2004, pp 16-24).



شكل رقم (٢) بيبين وعاء مزين بزخارف لولبية من كرمة في متحف الفنون الجميلة في بوسطن.

- حضارة كوش:

تُعد كلمة "كوش" تعبيرًا عن العرقية الخاصة بالشعوب التي أسست الحضارة النوبية. ويظهر هذا المصطلح في أسماء العديد من الشخصيات الكوشية مثل الملك كاشتا، الذي يعني اسمه "كوشي". جغرافيًا، يشير اسم كوش إلى المنطقة التي تقع جنوب الشلال الأول بشكل عام. وقد أطلق اسم "كوش" على جزء من منطقة النوبة، ويشمل المنطقة التي تقع جنوب الشلال الثاني والتي تمثل "بلاد النوبة العليا"، حيث قامت الحضارة النوبية الكوشية التي امتدت في وادي النيل (Morkot, 2016, p. 123). بدأ حكم كوش في النوبة بعد انهيار العصر البرونزي وتفكك المملكة المصرية الحديثة. كانت بداية تمركز كوش في نبتة (التي تعرف اليوم بكريمة في السودان) في مرحلتها الأولى. تأثرت المملكة الكوشية بشكل كبير بمصر القديمة من حيث الثقافة والاقتصاد والسياسة والعسكرية. في القرن الثامن قبل الميلاد، امتد نفوذ الملك كاشتا ("الكوشي") إلى مصر العليا، وتمكن خلفاؤه من السيطرة على مصر السفلى أيضًا. بذلك، أصبح ملوك كوش فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين في مصر لمدة تقارب القرن، حتى هزمتهم الإمبراطورية الآشورية الحديثة بقيادة آشوربانيبال، وطردتهم من مصر الفرعون إيسماتيك الأول، ليضع الآشوريون نهاية لحكم كوش في القرن السابع قبل الميلاد (Emery, 2008, p. 45). خلال العصور الكلاسيكية القديمة، كانت العاصمة الكوشية تقع في مروي. في الجغرافيا اليونانية المبكرة، كانت المملكة المروية تعرف باسم "إثيوبيا". استمرت مملكة كوش وعاصمتها مروي حتى القرن الرابع الميلادي، ثم ضعفت وتفككت بسبب المشاكل الداخلية وتدمير العاصمة من قبل مملكة أكسوم. بعد ذلك، أقام النوبيون ثلاث ممالك مسيحية هي: نوباتيا، المقرة، وعلوة (op. cit., p. 67).

– الفترة النبتية:

نبتة هي مدينة نوبية قديمة كانت عاصمة لمملكة كوش النوبية. تقع حاليًا في منطقة المدينة الحديثة كريمة في شمال السودان. بعد تفكك المملكة المصرية الحديثة، استقل الكوشيون وأسسوا مملكتهم التي تركزت في نبتة خلال مرحلتها المبكرة. في تلك الفترة، قام الكوشيون بغزو مصر تحت قيادة الفرعون بعنخي، وسيطروا على مصر في القرن الثامن قبل الميلاد، حيث حكموا مصر باعتبارهم الأسرة الخامسة والعشرين (Diop, 1974, p. 78). حكم الكوشيون مصر لمدة تقارب مائة عام، ومن أشهر ملوك تلك الحقبة كان الفرعون النوبي طهارقة، وهو الخليفة الثالث لبعنخي. تم تتويجه في ممفيس بمصر عام ٦٩٠ قبل الميلاد. حكم طهارقة النوبة ومصر معًا، وقام بترميم المعابد المصرية في الكرنك، كما بنى العديد من المعابد والأهرامات الجديدة في النوبة، قبل أن يتراجع إلى النوبة بسبب الضغط الآشوري (Bonnet, 2006, pp. 142–154).

– مصر في النوبة في عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد:

تم ذكر النوبة لأول مرة في الروايات المصرية القديمة عن البعثات التجارية. أشار المصريون إلى النوبة السفلى باسم "واوات" و"إرجت وستجو"، بينما أشاروا إلى النوبة العليا باسم "يام". يعتقد بعض المؤلفين أن "إرجت وستجو" ربما كان يشير أيضًا إلى مناطق في النوبة العليا. كما أشاروا إلى النوبيين الذين يسكنون بالقرب من النهر باسم "نهاسيو" من أسوان، الحد الجنوبي للسيطرة المصرية في ذلك الوقت. كان النوبيون يتاجرون بالذهب والبخور والأبنوس والنحاس والعاج والحيوانات الغريبة من أفريقيا الاستوائية عبر النوبة. أظهرت العلاقات بين المصريين والنوبيين تبادلًا ثقافيًا سلميًا، حيث كان هناك تعاون وزواج مختلط. تزوج رماة السهام النوبيون الذين استقروا في جبلين خلال الفترة الانتقالية الأولى من نساء مصريات، ودُفِنوا على الطريقة المصرية. في النهاية، لم يعد من الممكن تمييزهم عن المصريين (O'Connor, David, op. cit.,).

(pp. 120-136). أشارت الدراسات القديمة إلى أن بعض الفراعنة المصريين ربما كانوا من أصل نوبي. أشار ريتشارد لوبان إلى أن منتوحتب الثاني من الأسرة الحادية عشرة "كان من المحتمل جدًا أن يكون من أصل نوبي"، واستشهد بأدلة تاريخية تشير إلى أن أمنمحات الأول، مؤسس الأسرة الثانية عشرة، "كان لديه أم نوبية من تا سيتي". كما زعم ديتريش فيلدونج أن السمات النوبية كانت شائعة في الأيقونات المصرية منذ عصر ما قبل الأسرات، وأن العديد من الفراعنة مثل خوفو ومنتوحتب الثاني تم تمثيلهم بهذه السمات النوبية (Lobban, Richard A, 2003, pp. 9-12). كتب فرانك يوركو أن "الحكام المصريين من أصل نوبي أصبحوا مصريين ثقافيًا؛ كفراعنة، أظهروا مواقف مصرية نموذجية وتبنوا سياسات مصرية نموذجية". وأشار يوركو إلى أن بعض حكام المملكة الوسطى، وخاصة بعض فراعنة الأسرة الثانية عشرة، كان لديهم سمات نوبية قوية بسبب أصل الأسرة في منطقة أسوان في جنوب مصر (F. J. Yurco, 1989, pp. 72-83). كما حدد بعض العلماء الفرعون سيكوينر تاو من الأسرة السابعة عشرة بأنه كان يتمتع بسمات نوبية. زعم العديد من العلماء في السنوات الأخيرة أن والدة أمنمحات الأول، مؤسس الأسرة الثانية عشرة، كانت من أصل نوبي (Crawford, Keith W, 2021, pp. 45-57). بدأ الملك سيزوستريس الأول في بناء سلسلة من المدن أسفل الشلال الثاني، مزودة بحصون ثقيلة، أسوار، وجسور متحركة. كما وسع سيزوستريس الثالث مملكته بلا هوادة في النوبة من عام ١٨٦٦ إلى ١٨٦٣ قبل الميلاد، وأقام حصونًا نهرية ضخمة مثل بوهين وسمنة وشلفاك وتوشكا في أورونارتي للحصول على مزيد من السيطرة على طرق التجارة في النوبة السفلى. كما وفرت هذه الحاميات المصرية وصولاً مباشراً للتجارة مع النوبة العليا، التي كانت مستقلة وقوية بشكل متزايد خلال هذا الوقت. بدا أن هذه الحاميات المصرية تتعايش بسلام مع الشعب النوبي المحلي، على الرغم من أنها لم تتفاعل معهم كثيرًا (Haynes, Joyce, 1992, pp. 95-8). الميدجاي: كان

"الميدجاي" هو الاسم الذي أطلقته مصر القديمة على سكان الصحراء الرمل من شرق نهر النيل. وقد استُخدم المصطلح بشكل مختلف لوصف موقع أو شعب الميدجاي أو دورهم/وظائفهم في المملكة. أصبح الميدجاي جزءًا من الجيش المصري ككشافة وعمال صغار قبل أن يتم دمجهم في الجيش المصري. في الجيش، خدم الميدجاي كقوات حامية في التحصينات المصرية في النوبة وقاموا بدوريات في الصحاري كنوع من قوات الدرك أو قوة شرطة شبه عسكرية نخبوية، لمنع أفراد قبيلة الميدجاي من مهاجمة الأصول المصرية في المنطقة (عبد المنعم أبو بكر، مرجع سابق). كان الميدجاي يُستخدمون غالبًا لحماية المناطق الثمينة، وخاصة المجمعات الملكية والدينية. ورغم أنهم اشتهروا بحماية القصور الملكية والمقابر في طيبة والمناطق المحيطة بها، فقد تم نشر الميدجاي في جميع أنحاء مصر العليا والسفلى، بل واستخدموا أيضًا خلال حملة كاموس ضد الهكسوس. أصبحوا أداة في تحويل الدولة المصرية إلى قوة عسكرية بعد الفترة الانتقالية الأولى في مصر.

- الفترة المروية (٥٤٢ ق.م - ٤٠٠ م):

كانت مروي العاصمة الجنوبية لمملكة كوش، وتمتد مملكة كوش في هذه الفترة من حوالي ٨٠٠ قبل الميلاد إلى حوالي ٣٥٠ بعد الميلاد. في البداية، كانت عاصمتها الرئيسية تقع أبعد إلى الشمال في نبتة، ولكن نقل الملك أسبالتا العاصمة إلى مروي، التي كانت تقع جنوب نبتة، ربما حوالي ٥٩١ قبل الميلاد، بعد نهب نبتة من قبل الفرعون المصري بسامتيك الثاني (Torok, Laszo, 1997, p. 31). ذكر مارتن ميريديث أن الحكام الكوشيين اختاروا مروي بين الشلالين الخامس والسادس لأنها كانت على حافة حزام هطول الأمطار الصيفي، وكانت المنطقة غنية بخام الحديد والخشب الصلب لصناعة الحديد. كما أتاح الموقع الوصول إلى طرق التجارة إلى البحر الأحمر. تقع مدينة مروي على طول النيل الأوسط، وهو أمر ذو أهمية كبيرة بسبب الفيضانات السنوية

لوادي نهر النيل، واتصالها بالعديد من أنظمة الأنهار الرئيسية مثل النيجر، الذي ساعد في إنتاج الفخار والحديد المميزين لمملكة مروي، مما سمح بصعود قوة شعبها (Rilly, 2016, p. 16). بعد احتلال الرومان لمصر عام ٣١ قبل الميلاد، اندلعت العديد من المعارك بين الكوشيين والرومان. اشتبكت القوات الرومانية مع جيوش الكوشيين بالقرب من طيبة، وفي تلك الفترة برزت الكنداكة وريناس ملكة مروي التي قادت الجيوش النوبية وهاجمت أسوان، وهزمت الجيوش الرومانية في أسوان وفيلة. كما أخذت العديد من الأسرى من الرومان ووضعت تمثال الإمبراطور أغسطس البرونزي تحت مدخل قصرها حتى يدوس عليه كل من يدخل ويخرج من القصر (Fluehr-Lobban, 1998, p. 120). بعد هذا النصر الأولي، أرسل الإمبراطور أغسطس جيشاً إلى النوبة بقيادة بترونيوس، الذي كان يشغل منصب الحاكم الروماني في مصر آنذاك. ضغط الرومان على الجيش الكوشي في أسوان، فترجعوا إلى المحرقة والدكة، وطاردتهم الجيوش الرومانية حتى تراجعوا إلى قصر إبريم، حيث هزمت الجيوش الرومانية وريناس. أمر بترونيوس بإقامة حامية رومانية في قصر إبريم، واعتُبر ذلك نهاية الحدود الرومانية مع النوبة. تقدمت الجيوش الرومانية جنوباً حتى وصلت إلى نبتة وهاجمتها. في وقت لاحق، تم توقيع معاهدة سلام بين الكوشيين والرومان بشروط ملائمة، مما أدى إلى زيادة التجارة بين البلدين واستمرار العلاقة السلمية بينهما. وبحلول القرن الأول أو الثاني الميلادي، بدأت المملكة تضعف تدريجياً حتى سقطت نهائياً على يد الملك المسيحي عيزانا ملك مملكة أكسوم (الحبشة) (Arthur E. Robinson, 1928, p. 85). كانت مروي قاعدة لمملكة مزدهرة تركزت ثروتها حول صناعة الحديد القوية والتجارة الدولية مع الهند والصين. يُعتقد أن تصنيع المعادن حدث في مروي، ربما من خلال مصانع الحديد وأفران الصهر. كانت السيطرة المركزية على الإنتاج داخل الإمبراطورية المروية وتوزيع بعض الحرف والمصنوعات تمثل أهمية سياسية. ومن المواقع المهمة الأخرى في

مروي "مصورات الصفراء" و"ناقة". تم بناء مصورات الصفراء، التي تُعد الآن موقعًا للتراث العالمي لليونسكو، من الحجر الرملي. كانت ميزات الموقع الرئيسية هي السور العظيم ومعبد أسد أبيدماك والخزان العظيم. كان السور العظيم هو الهيكل الرئيسي في الموقع، وتم تشييد جزء كبير من مجمع المباني الكبير الذي يشبه المتاهة والذي يغطي مساحة تبلغ حوالي ٤٥,٠٠٠ متر مربع، في القرن الثالث قبل الميلاد (Stofferahn, 2003, p. 55). كان مصطلح "كنداكة"، والذي يُشار إليه غالبًا باللاتينية باسم "كانديس"، هو المصطلح المروي لأخت ملك كوش التي ستجلب الوريث التالي بسبب الخلافة الأمومية، مما يجعلها ملكة أم. ووفقًا للباحث باسيل ديفيدسون، فمن المحتمل أن أربع ملكات كوش على الأقل -ريناس يشاخيتو وناويدماك ويتوري - قضين جزءًا من حياتهن في مصورات الصفراء (Fluehr-Lobban, 1998, p. 145).

- الفترة الرومانية النوبية:

وفقًا لويلسبي، بعد أن تولى الرومان السيطرة على مصر، تفاوضوا مع الكوشيين في فيلة ورسوموا الحدود الجنوبية لمصر الرومانية في أسوان. أصبحت مملكة كوش مملكة عميلة، وهو وضع مشابه للحكم البطلمي لمصر. تعتبر الطموحات الكوشية والضرائب الرومانية المفرطة من النظريات التي تدعم الثورة التي قادها الجيش الكوشي. يورد المؤرخان القدمان، سترابو وبليني، روايات عن الصراع مع مصر الرومانية (Welsby, 1996, p. 89). أمير مروي يضرب أعداءه في أوائل القرن الأول الميلادي، حيث يصف سترابو الحرب مع الرومان في القرن الأول قبل الميلاد. ذكر أن الكوشيين "نهبوا أسوان بجيش قوامه ٣٠ ألف رجل ودمروا تماثيل إمبراطورية... في فيلة" (Arthur E. Robinson, 1928, p. 102). تم العثور على "رأس برونزي ناعم للإمبراطور أوغسطس" مدفونًا في مروي أمام أحد المعابد. بعد الانتصارات الأولية لـ

"كنداكة" (أو الملكة ريناس) ضد مصر الرومانية، هُزم الكوشيون وتم إقالة نبتة. ومع ذلك، لم يكن سقوط نبتة ضربة قاصمة للكوشيين، ولم يخيف الملكة كنداكة بما يكفي لمنعها من الاستمرار في القتال مع الجيش الروماني. في عام ٢٢ قبل الميلاد، تحركت قوة كوشية كبيرة باتجاه الشمال بهدف مهاجمة قصر إبريم (Jackson, Robert B., 2002, p. 150). بعد أن تمكن الحاكم الروماني من إخماد ثورة الطيبين، زحف جنوبًا لمعاقبة النوبيين وراء الجندل الأول، لكنه فشل في مهمته وتركهم متمتعين باستقلالهم مع الاعتراف بالسيطرة الرومانية اسميًا فقط. قام النوبيون بثورة كبيرة حوالي عام ٢٤ قبل الميلاد ضد الرومان، وهاجموا صعيد مصر، وتغلبوا على الحامية الرومانية التي كانت تتألف من ثلاث كتائب مساعدة، ونهبوا جزيرة "أنس الوجود"، وجزيرة الفنتين، ومدينة أسوان. استعد الرومان استعدادًا كبيرًا للرد على هذه الثورة، وخرج الحاكم بترونيوس على رأس جيش كبير والتقى بالجيش النوبي عند الدكة، واستطاع إيقاع الهزيمة به. تعقب الثوبين وحاصروهم في قلعة "قصر إبريم"، ثم استولى عليها وطارد فلولهم حتى وصل إلى مدينة "نباتا" (العاصمة النوبية القديمة) ودمرها ونهب ما فيها من كنوز. بعد عامين، أخذ النوبيون بثأرهم وتقدموا بقيادة ملكتهم الشهيرة "كانداكي" وتقابلوا مع "بترونيوس" عند قلعة أبريم. ولكن نتيجة للاختلاف الكبير بين القوتين، اضطرت الملكة إلى طلب الصلح، ولكن كان صلحًا مشرفًا إذ فاز النوبيون بقرار من الإمبراطور أعفاهم فيه من دفع الجزية للرومان. حدث ذلك عام ٢٠ ق.م، واستقر السلم لفترة طويلة في هذه المنطقة (عبد المنعم أبو بكر، ٢٠١٧، ص ٦٧).

- الفترة المسيحية النوبية:

دخلت المسيحية بلاد النوبة في منتصف القرن السادس الميلادي. ففي عام ٥٧٧م، افتتح رئيس مطارنة أسوان معبد إيزيس بعد تحويله إلى كنيسة، وسرعان ما انتشرت الديانة في المناطق الجنوبية. تم تحويل معظم المعابد الفرعونية إلى كنائس،

وظهرت دولة مسيحية نوبية في منطقة مديرية دنقلة. كان لملوك هذه المملكة سلطان قوي، سيطروا على معظم مناطق النوبة السفلى. استطاع أحد ملوكهم، واسمه "مركوريوس"، أن يشيد كنيسة كبيرة في مدينة "تافا"، التي تقع على بعد ٤٢ كيلومترًا إلى الجنوب من أسوان. في القرن السابع، كانت مملكة دنقلة المسيحية تواجه قوات العرب التي كانت تتجه إلى بلاد النوبة بعد استقرارهم في مصر. انتهى الأمر بأن عقدت مملكة دنقلة معاهدة مع العرب في مصر في عصر الوالي عبد الله بن سعد بن أبي السرح عام ٦٥١م. أطلق على ملك هذه البلاد اسم "عظيم النوبة"، ونصت المعاهدة على أن تشمل البلاد الممتدة من حدود مصر شمالًا إلى حدود "علوة" عند الجندل السادس جنوبًا. كما نصت على أن تدفع مملكة النوبة الجزية إلى مصر، وأن تتعهد بحماية المسلمين المقيمين فيها (عبد المنعم أبو بكر، مرجع سابق، ص ٨٧). بحلول القرن السابع، توسعت مملكة المقرة وأصبحت القوة المهيمنة في المنطقة. كانت قوية بما يكفي لوقف التوسع الجنوبي للإسلام بعد أن استولى العرب على مصر. بعد عدة غزوات فاشلة، وافق الحكام المسلمون الجدد على معاهدة مع دنقلة تسمى "باكت"، للسماح بالتعايش السلمي والتجارة. اشترطت المعاهدة أن يدفع النوبيون مبلغًا سنويًا يتكون من العبيد وغيره من الجزية للحاكم الإسلامي في أسوان. كما ضمنت المعاهدة إعادة أي عبيد هاربين إلى النوبة. استمرت هذه المعاهدة لمدة ستمائة عام. وطوال هذه الفترة، كانت الصادرات الرئيسية للنوبة هي التمور والعبيد، على الرغم من أن العاج والذهب تم تبادلتهما أيضًا بالسيراميك والمنسوجات والزجاج المصري. بمرور الوقت، أدخل تدفق التجار العرب الإسلام إلى النوبة، وحل تدريجيًا محل المسيحية. بعد انقطاع الجزية السنوية للعبيد، غزا الحاكم المملوكي المصري في عام ١٢٧٢م، وأعلن نفسه صاحب السيادة على نصف النوبة. بينما هناك سجلات عن أسقف تيموثي في قصر إبريم في عام ١٣٧٢م، كان مقره يشمل فرس. ومن الواضح أيضًا أن كاتدرائية دنقلة تم تحويلها إلى مسجد في عام ١٣١٧م. لقد ساهم تدفق العرب

والنوبيين إلى مصر والسودان في قمع الهوية النوبية بعد انهيار آخر مملكة نوبية حوالي عام ١٥٠٤م. الغالبية العظمى من سكان النوبة هم من المسلمين حاليًا، واللغة العربية هي وسيلة الاتصال الرئيسية لديهم، إلى جانب لغتهم النوبية الأصلية. تتجلى السمة الفريدة للنوبيين في ثقافتهم، بما في ذلك ملابسهم ورقصاتهم وتقاليدهم وموسيقاهم (Adams, William Y, 1993, p. 119).

- النوبة الإسلامية:

وصل الإسلام إلى النوبة خلال العصر الفاطمي نتيجة ضغوط هجرة قبائل بني هلال وسليم إلى مصر. هذه الضغوط أدت إلى ازدهار القبائل العربية القديمة، مما دفعهم إلى النزوح نحو الجنوب. بدأ المسلمون في شراء أراضٍ في النوبة منذ القرن العاشر، وتحديدًا جنوب الشلال الأول، وأدى ذلك إلى زيادة انتشار الإسلام في المنطقة بسبب قوة العناصر التركية والشركسية في مصر خلال العصور المملوكية والعثمانية (محمد رياض، كوثر، ٢٠١٧، ص ١٤٤). كانت قبيلة ربيعة هي الأكبر بين القبائل التي سكنت منطقة البجا، حيث تصاهرت معهم. ولم يمضِ وقت طويل حتى آل إليهم عرش البجا عن طريق الخوالة، فسيطروا على المنطقة ونشروا الإسلام والعربية بين البجا. يذكر المسعودي الذي زار مصر حوالي ٩٤٠م أن عرب ربيعة اختلطوا بالبجة، كما يتحدث أيضًا عن جماعات من قبائل قحطان وربيعه وقريش دخلوا إلى النوبة السفلى. قامت قبائل ربيعة بتكوين إمارة بني كنز العربية في المنطقة الشمالية من بلاد النوبة. أما عن قبيلة جهينة، فيذكر ابن خلدون أنهم كثروا الناس هناك وغلبوا على بلاد النوبة، حيث فرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم. تأسس حكم إسلامي في مملكة المقررة في آخر عهدها، واختلط العرب بالنوبة. قبل معظم النوبيين الإسلام، وهو ما حدث أيضًا في مملكة علوة حيث تغلب العرب عددًا على شعب العنج، فاعتنق شعب مملكة علوة الإسلام فيما بعد. كذلك،

بسطت قبائل الجعليين العباسية سيطرتها على المنطقة الممتدة من دنقلا إلى السبلوقة. (موسوعة القبائل والأنساب في السودان، ١٩٩٤، ص ١١-١٤).

المحور الثالث: حياة المجتمع النوبي:

النوبة ذات البشرة الصافية والروح الطيبة السمحة الترحابة، ذو الصبر والذكاء والإخلاص والحفاظ على العادات الاجتماعية الراقية، والنوبة ذات الطبيعة الخلابة ومياه النيل، السماء الصافية، وجمال البيوت برسومها المعبرة عن ثقافة المجتمع النوبي (سميحة عبد الحليم، ٢٠١٦، ص. ٣٠). إن المجتمع يتأثر بعدة مؤثرات متنوعة تحدد هويته الثقافية، وتختلف هذه المؤثرات في كل مجتمع، فنجد أن المجتمع النوبي قد تعرض لبعض المؤثرات التي طورت هويته وثقافته. إن عادات وتقاليد أهل النوبة لا تزال موجودة، موروثه عن قدماء المصريين، حيث ما زالت بعض قرى النوبة تحتفظ بالفلكلور النوبي ويتمثل ذلك في المنازل النوبية بغرب أسوان (غرب سهيل - جزيرة أسوان وغيرهم من الجزء الغربي من أسوان)، حيث المنازل الجميلة الملونة بجدرانها التي ترسم ثقافة هذا المجتمع. كما تنتشر كثير من الاعتقادات الخرافية بينهم نتيجة لتأثرهم ببعض عادات قدماء المصريين التي توارثوها، كاستخدام البخور بكثرة وتعليق بعض أنواع الزواحف على مداخل المنازل وخاصة التمساح لمنع الحسد، والتوجه إلى النيل للتبرك بمياهه عند الزواج وولادة الطفل ويوم عاشوراء. كما أن اللغة في بلاد النوبة تعد اللغة الوسيطة الرئيسية للاتصال وإدارة التفكير، فالجماعة واللغة النوبية هي لغة منطوقة وتختلف باختلاف القبيلة (لينا نجيب، ٢٠٢٣، ص. ٥٠). يحافظ المجتمع النوبي على العادات والتقاليد داخل مجتمعه وخارجه، وتربطهم علاقة وثيقة، وتربطهم علاقة تعاونية، فهم يتمنون الخير لبعضهم. مظاهر الحياة في المجتمع النوبي تتمثل في كثير من المظاهر حيث نجد المجتمع النوبي برع في صناعة الفخار دون غيرهم، وشكل توافر الطين الصلصالي في

بلادهم حيث يوجد على الضفة الشرقية للنيل "جبل الطفل"، يصنعون منه النوبيون هذه الأواني الفخارية. وهذه الصناعة تقوم على مهارة فنون النساء النوبيات، وأيضاً تتميز المرأة النوبية في صناعة الأطباق والسلال من سعف النخيل التي يوضع بها الخبز على المائدة، وكلها مصنوعة باليد بإتقان يوهم أنها مصنوعة بالآلات. كما يتسم المجتمع النوبي بالدقة والجودة والتميز في صناعة "الحصير"، إضافة إلى تنوع أشكالها. وتعتبر تلك الصناعة من أقدم الصناعات التي مارسها الإنسان البدائي، وهي عبارة عن تصفير الألياف عبر تداخلها ببعض باستخدام الطرق اليدوية (رشا أحمد، ٢٠٢٠، ص. ٩٠).

تعتبر النوبة من المناطق الغنية بالفنون الشعبية، فيوجد لدى النوبيين هوس بالزخارف والحلي وشغف بالألوان المتباينة الجذابة بالمعابد والمقابر الفرعونية التي كسيت جدرانها بمنظر من حياة المصريين القدماء. ومن الواضح أن ثقافة المجتمع النوبي ومناخ المنطقة وطبيعتها لها تأثير في كل ما يتعلق بالحياة النوبية كالبيوت واللغة والفنون والعادات والتقاليد والعرف. وهنا نرى كيف كانت المساكن النوبية. تتميز المرأة النوبية بالاحتشام والأخلاق الحميدة، كما أنها قادرة على إدارة مسؤولية منزلها بكفاءة عندما يرحل الزوج طلباً للعمل. وتشارك في الأعمال الحرفية واليدوية، وتتميز بطابعها الخاص المنفرد في الحرف التقليدية، كما تتميز المرأة النوبية بلبسها النوبي ويسمى "الجرجار"، ويغلب اللون الأبيض على ملابس الرجال بينما ترتدي المرأة النوبية الجرجار النوبي بألوانه الجذابة وحليها المميزة. نجد أن المراكب والجمال هي أهم وسائل المواصلات للنوبة (رندا غريب، ٢٠١١، ص. ١١٠). الأسرة هي المكون الأساسي في كل أرجاء النوبة المصرية، حيث تلعب دوراً أساسياً في نشر الثقافة وعواطف الانتماء إلى المجتمع في أطفالها، من خلال التأكيد على ثقافة حب الوطن، والجهود التي تبذل لرفعته، بالإضافة إلى نشر ثقافة الحفاظ على ممتلكات الوطن (ليلة، ٢٠١٥، ص. ٢٠). حيث الأسرة هي المحصن الأول في تأسيس منظومة الحقوق والواجبات، ونقل المخزون الثقافي الذي يساهم في

زرع المسؤولية من خلال تكوين وعي جمعي بأهداف المجتمع وأيدولوجيته (سميرة جميل، ٢٠٠٥، ص. ١٥). يتمتع المجتمع النوبي بتاريخ حضاري طويل وتراث شعبي عريق، يتسم بالثراء الفكري والثقافي، كما له خصوصية تميزه عن باقي أنحاء الوادي، ويظهر ذلك في التراث الشعبي النوبي والمباني والعادات والحلي والأعراف والزواج واللغة النوبية. إضافة إلى أغرب عادات أهل النوبة التي تحدث عنها المؤرخون المصريون، والتي تظهر في طقوسهم المستمدة من حياتهم على ضفاف النيل. وتأتي العادات والتقاليد المتوارثة في مقدمة حياة المجتمع النوبي حيث ما زال المجتمع النوبي يتمسك بالهوية الثقافية، وترحاب الضيوف، والمناسبات الدينية والاحتفال بها، وما زال يتمسك بالأعراف والعمادات التي ورثها من الآباء والأجداد (فؤاد عكود، ٢٠١٣، ص. ٥٥).



شكل رقم (٣) يوضح أبرز مظاهر حياة المجتمع النوبي.

أ. المساكن النوبية:

هي التي تتمتع بخصائص بنائية استعملها مستخدموها لتعكس هويتهم الخاصة وبيئتهم المحيطة. وقد نشأت تلك المساكن بفضل حضارة النوبيين في المناطق الجنوبية لمصر والمناطق الشمالية للسودان على ضفتي نهر النيل (منال محمد، ١٩٧٧، ص. ٤٥). وقد خص النوبيون المسكن بأهمية خاصة لما يمثله من قيمة روحية واجتماعية وتعبيرية وثقافية وتراثية. ويعتبر المسكن بمثابة العالم الخاص للسكان النوبي الذي يمارس فيه مبادئه وملكيته المطلقة، ويجسد من خلاله موروثاته الثقافية والحضارية التي ورثها على مدى تاريخه الطويل والممتد بجذوره عبر أجيال متلاحقة ومتصلة بفكرها الخاص والمتميز (جودت عبد الحميد، ١٩٧١، ص. ٧٢). تتميز المساكن النوبية بزخارف عديدة تضيف على واجهة المسكن وداخله بهجة. وتعتبر هذه الزخارف وسيلة لتسجيل أحداث العائلة. كما يتميز المسكن النوبي بتقائنية بناءه الذي أنشأه النوبيون بتقنياتهم وحرفتهم القديمة كنتيجة لتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة. فقد جاءت تلك المساكن النوبية بنمط يتجاوب مع البيئة (أيمن رجب، ٢٠١١، ص. ٦٠)، وذلك من خلال توافق التصميمات والخامات مع البيئة. حيث تم استخدام الطوب اللبن المصنوع من الطمي بسمك يصل إلى ٠.٦ متر (أية سالم، ٢٠١٤، ص. ٩٠). كما تحتوي على مجموعة غنية من المفردات المعمارية مثل الفناء الداخلي والقبية والقباب والواجهات المصمتة ذات الفتحات الصغيرة العلوية (مروة مصطفى، ٢٠١٢، ص. ١١٠).

ب. اللغة النوبية القديمة:

وفقاً للغويين التاريخيين، هي اللغة المنطوقة لأقدم سكان وادي النيل. ويتفق آدامز وبيرهينز وغريفيث وبيشهاوس-جيرست على أن اللغة النوبية ترجع أصولها إلى وادي النيل. اللغة النوبية هي إحدى اللغات الحامية، وقد تأثرت على مر العصور بمؤثرات لغوية خارجية، ولذلك نجد فيها عناصر من الكلمات العربية. وبقيت هذه اللغة على مر

العصور الطويلة يُنطق بها الناس ولكن لم تُكتب إلا ابتداء من العصر المسيحي في بلاد النوبة، والمخطوطات النوبية التي عُثر عليها تعود إلى العصر الإسلامي، وهي مدونة بالحروف اليونانية (عبد المنعم أبو بكر، ٢٠١٧، ص. ١٠٣). اللغة النوبية القديمة محفوظة في ما لا يقل عن مائة صفحة من الوثائق، تضم نصوصاً ذات طبيعة دينية مسيحية ونصوصاً وثائقية تتناول شؤون الدولة والقانون. وقد كُتبت اللغة النوبية القديمة بنوع مائل من الأبجدية القبطية، مع إضافة أحرف مستمدة من اللغة المروية. وتاريخ هذه الوثائق يتراوح من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي. وتعتبر اللغة النوبية القديمة حاليًا سلفًا للغة النوبيين الحديثة، على الرغم من أنها تظهر علامات على وجود اتصال واسع النطاق مع الدنقلاويين (Rilly, Claude, 2010, p. 215). النوبيون متعصبون كل التعصب للغتهم، وهم يتحدثون بها حتى الآن. ورغم أن الإسلام هو دينهم، ورغم انتشار اللغة العربية في مصر والسودان، بل ورغم وجود جماعات عربية مثل "العليقات" متغلغلة في وسطهم، فإن اللغة النوبية ما زالت حية. وتنقسم اللغة النوبية إلى لهجتين بينهما تشابه: اللهجة الأولى: يتحدث بها "المحس" و "السكوت"، وطبعًا "الفديجة". واللهجة الثانية: يتحدث بها "الكنوز" و "الدناقلة". ولعل مما يثير العجب أن لهجة "الكنوز" في أقصى الشمال تتشابه تمامًا مع لهجة "الدناقلة" في أقصى الجنوب. وتفسير ذلك أن العلاقات التجارية بين الكنوز الذين يسكنون مصر والدناقلة الذين يسكنون السودان كانت من أشد العلاقات ارتباطًا، وتم هذا الاتصال عن طريق القوافل التي كانت تخترق البادية لتجنب طول مجرى النيل وكثرة ما فيه من جنادل في ثنيته العظيمة بين كورسكو في الشمال وأبي حمد في الجنوب. وتسمى لهجة "الكنوز" أيضًا بالمتوكي، وهي كلمة تعني باللغة النوبية "الشمالي"، أما لهجة "الفديجة" فتعرف بـ"المريسي" أي "الجنوبي" (عبد المنعم أبو بكر، مرجع سابق، ص. ٩٨).

ج. الزواج عند المجتمع النوبي:

ما يزال التعارف العائلي هو الأساس في اختيار العروس داخل المجتمع النوبي سواء في القاهرة أو في القرى النوبية جنوب البلاد. تعد النوبة من أقدم الحضارات في العالم، ويُعتقد أن النوبيين كانوا أول جنس بشري يسكن الأرض. وقد تبنت الثقافة المصرية القديمة بعض عادات وتقاليد النوبيين، ومن بينها تقاليدهم الخاصة في المناسبات مثل الزواج. تتميز عادات الزواج النوبية بأسلوبها الفريد والاحتفالات الطويلة التي تستمر لعدة أيام. من أهم العادات التي يُطبقها النوبيون في الزواج هو انتقاء الشريك، حيث يُفضل النوبيون الزواج من بنات أعمامهم وأقاربهم في البداية، وكان من النادر أن يتم زواج العائلات النوبية البعيدة قليلاً. يعود هذا الاختيار إلى القيم العائلية والقربة المهمة في ثقافة النوبيين. تستمر مراسم حفل الزفاف النوبي لمدة تختلف من قبيلة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى، ويُنفذ خلالها العديد من الطقوس والاحتفالات. تُعتبر هذه المدة مهمة جداً في تعزيز روابط العائلة والمجتمع (الفصل، ٢٠٠٢، ص. ٤٥). يقدم العريس النوبي الكثير من الهدايا لعروسه ولأمها وأخواتها. وتُقدّم هذه الهدايا على ظهر جمل مُزيّن بالمجوهرات والزخارف والأقمشة الحريرية الناعمة. يرمز ذلك إلى سخاء العريس وقدرته على توفير الراحة والترف لعروسه، وهذا يختلف من شاب لآخر. يرتدي العريس النوبي ملابس جميلة وفاخرة ويحمل سيفاً وسوطاً، تعكس هذه الملابس والأدوات رجولة العريس وقوته، وتعتبر رمزاً للثقافة النوبية. تأتي مراسم ما قبل الزفاف في مقدمة الاحتفالات الزوجية للنوبيين. وبعد الاتفاق بين العائلتين على الزواج، يقام حفل حناء العروس، حيث يشارك الأصدقاء والأقارب والعائلات. يتم وضع الحناء على كفي العروس ويدي العريس في غرفتين منفصلتين، ويُعتبر ذلك تحضيراً للزواج وتجميلاً للعروس والعريس (محمد رياض، كوثر، ٢٠١٨، ص. ٧٢). تستمر الاحتفالات في يوم الزفاف نفسه، حيث يحضر أصدقاء العريس ويبدأون بالعزف والغناء. تتوجه العروس وصديقاتها إلى أسوان

لتجهيز شعرها ومكياجها، ثم يعود العريس وأهله لاستلام العروس والتقاط صور تذكارية. وفي القرية، يبدأ العريس بتقديم الهدايا لعروسه ولأهلها، مثل شبكة المجوهرات. باختصار، تظهر عادات وتقاليد الزواج لدى النوبيين الروح الاحتفالية والمحافظة على الروابط العائلية والاجتماعية. تعكس هذه العادات قيم السخاء والتقدير والاحترام التي تتميز بها ثقافة النوبيين (أحمد الصغير، ٢٠٢٠، ص. ٣٤). يعتبر الطلاق رفضاً قطعياً في ثقافة النوبيين، وذلك لأنهم يعتقدون أن الطلاق يقلل من فرص إعادة زواج المرأة المطلقة مرة أخرى. بالإضافة إلى ذلك، تلعب المرأة الدور الأساسي في تربية الأطفال دوناً عن الآباء، وتحظى باحترام وتقدير كبيرين في المجتمع النوبي (إبراهيم، عبد العظيم ميرغني، ٢٠٠٩، ص. ٨٧).

المحور الرابع: دور المرأة في المجتمع النوبي:

أولاً: الدور التاريخي للمرأة النوبية:

بعد بناء خزان أسوان في عام ١٩٠٢، ثم تعليته مرتين، طرأت تغيرات جذرية على الحياة النوبية القديمة، تلتها تغيرات اجتماعية في المجتمع النوبي. حيث غرقت ملايين من أشجار النخيل التي كانت تعد مصدر الدخل الرئيسي في النوبة، مما دفع الكثير من الرجال والشباب إلى الهجرة بحثاً عن الرزق، سواء داخل مصر شمالاً أو خارجها جنوباً إلى السودان. في تلك العقود التي امتدت حتى أوائل الستينات عند بناء السد العالي، حملت المرأة النوبية على عاتقها مهام جسيمة، أرى أن التاريخ المعاصر لم ينصفها بعد بتسليط الضوء الكافي وبمزيد من التفاصيل على هذا الدور. ومن تلك المهام ما كان تقليدياً، مثل الاهتمام بالأطفال والقيام بأعمال الزراعة الشاقة في الأراضي الصغيرة المتبقية، وتربية الطيور والحيوانات المنزلية. لكن المهمة الأهم التي قامت بها كانت الحفاظ على الثقافة النوبية وتفاصيل وعادات وتقاليد المجتمع النوبي. بل لقد قامت بدور

القوة الموازية والموازنة للثقافات الوافدة مع المهاجرين الذكور العائدين بعد مواسم العمل. من تفاصيل ذلك، على سبيل المثال، التمسك بكل تفاصيل احتفالات وطقوس الزواج من الخطبة والزفة والشيلة والتبرك بالنهر حتى إتمام الزواج وذبح الذبائح، وكذلك طقوس الجنائز والحداد. بل إن المرأة النوبية في تلك الفترة قد قامت بما يعد في المجتمعات الشرقية عملاً ذكورياً خالصاً، وهو إحياء احتفالات الأولياء وتقديم النذور لهم. وحدث أن تم تعيين بعض "النقيبات" من مقامات الأولياء للقيام بتلك المهام. ثم اشتركت كل النساء في نقل التراث النوبي الذي كان يغلب عليه طابع الشفاهة آنذاك للأجيال الصغيرة عن طريق الحكى وقص سير الأولياء وبعض الأساطير الخاصة بالنوبة. وكان ذلك يتم في بعض المنازل في الفترة بين العصر والمغرب أو المغرب والعشاء. ولقد كان درة هذا الدور هو الحفاظ على اللغة النوبية بتعليمها للصغار. بعد بناء السد العالي وتهجير القرى النوبية الواقعة جنوب السد، طرأت تغيرات جارفة في أسلوب الحياة في المجتمع الجديد كانت تهدد بقاء الكثير من تفاصيل الثقافة النوبية، خاصة مع انتظام الأطفال في المدارس في المرحلتين الابتدائية والإعدادية وتعلم اللغة العربية في المدارس. ومع ذلك، ظلت الأم النوبية هي التي تلقن الأطفال مبادئ اللغة النوبية لأنها كانت الأكثر التصاقاً بالمنزل والأكثر احتفاظاً بإرثها الثقافي، بينما بدأ الرجل في شق طريقه نحو الوظائف الحكومية والإقلال من استخدام اللغة النوبية (أحمد عزيز، ٢٠٢٠، ص. ٥٦-١٤٠).

ثانياً: مكانة المرأة النوبية:

استطاعت المرأة النوبية أن تحفظ لنفسها مكانة مميزة جداً عن مثيلاتها في الجنوب. وقد كان هناك سببان لهذا التميز. أما السبب الأول فهو طبيعة المجتمع النوبي منذ قرون، حيث تمتع المرأة بمكانة تفوق مكانة المرأة في الشرق بصفة عامة. وتجلّى ذلك في عادة انتقال الميراث عن طريق المرأة قبل الإسلام (إرث الأطفال لأخوالهم). ولقد فطنت قبائل العرب الوافدة إلى مصر لهذه المكانة والتميز الذي تتمتع به المرأة النوبية،

فحرصت الكثير من هذه القبائل على طلب مصاهرة العائلات النوبية. أما السبب الثاني فيمكن في دور المرأة النوبية وطريقة ممارستها لهذا الدور، مما ساعدها على الاحتفاظ بمكانتها قرونًا طويلة. فقد مارست هذه المكانة وهذا الدور المتميز باعتدال، بلا إفراط أو تجبر أو تفریط أو ابتذال. وربما يفاجأ البعض - ممن لا يعرفون الكثير عن الثقافة النوبية - من معرفة بعض المعلومات، وعلى رأسها أن المرأة النوبية ربما تكون الأقل تعرضًا للعنف في مجتمعها مقارنة بالكثير من المجتمعات الشرقية الأخرى، والأكثر تمتعًا بمكانة الأقرب إلى النموذج الذي ينبغي أن تكون عليه مكانة المرأة إنسانيًا ودينيًا. كما تتمتع المرأة النوبية ومنذ زمن طويل بممارسة حق الاختيار (المرجع السابق، ص. ٧٨).

ثالثًا: زينة وحلي ومجوهرات المرأة النوبية:

المرأة النوبية هي ملكة متوجة دون عرش، تعامل بنفس التقدير الذي كانت تتمتع به جداتها من ملكات الفراعنة في الماضي. تعشق الجمال الذي يظهر عليها وعلى أسرتها، لذا كانت لها خصوصية في حليها وملبسها وزواجها أيضًا (علي زين العابدين، ١٩٨١، ص. ٩٢). تميزت المرأة النوبية بجمالها الطبيعي الأخاذ وبشرتها النقية، وهي امرأة محبة للجمال. ورثت جمالها وطرق الحفاظ عليه منذ صغرها، حيث استمدته من الجدات. استخدمت المرأة النوبية في تزيين نفسها أدوات كثيرة، بدءًا بالقدموس النوبي "مخلية"، وهو وعاء صغير من النحاس يوضع فيه الكحل السائب، وكان يُستخدم لتزيين العيون، وكذلك لتزيين المولود الجديد وحمايته من الحسد (علي زين العابدين، ١٩٨٢، ص. ١٠٧). كما حرصت المرأة النوبية على الظهور في كافة المناسبات الاجتماعية بأجمل وأزهى شكل، بما يعكس هويتها الثقافية. ومن المعروف أن المرأة النوبية تميزت بنظافتها الشخصية ورائحتها الطيبة المميزة. فقد استخدمت مواد متنوعة من العطور والروائح، مثل زيوت المسك والعود وخشب الصندل. ومن بين الروائح التقليدية التي استخدمتها "الدلكة النوبية"، وهي عبارة عن مجموعة من الزيوت العطرية، وتستخدمها

النساء خاصة البنات المقبلات على الزواج، حيث تبقى كالعطر على الجسم لعدة أيام. أما "الخمرة النوبية" (العطر النوبي) التي تصنع للعروس قبل الزفاف، فهي من العادات والتقاليد الضرورية في النوبة. تتكون من خشب الصندل الأصلي المزروع في الهند، والمسمار، وقشرة نوع من الأسماك الموجودة في البحر الأحمر، والمسك التركي، والمحلب وجوزة الطيب. تتنوع الروائح السائلة المستخدمة من قبل المرأة النوبية، مثل "فيريرا دامورا"، "باب البلد"، "سوار باريس"، "العصفورين"، بالإضافة إلى رائحة خشب الصندل والكولونيا، وباقة زهور "بنت السودان"، و"ميجوما" (نيفين خليل، ٢٠٢٠، ص. ١٤٥). أما حُلِي المرأة النوبية، فهي ليست مجرد قطع من الذهب أو الفضة، بل قطع تحكي تاريخ تطور وإبداع بشر عشقوا الجمال في كل شيء، حتى في حُلِي المرأة. وتتنوع أسماء تلك الحُلِي، مثل "الجكد"، "الزمام"، "الكردان"، و"الزيتوني"، وغيرها من الأسماء التي تزيد البشرة السمراء النوبية تألقاً تحت لمعان حليهن الذهبية. وقد وصفت مصممة الحُلِي والمجوهرات المصرية الشهيرة عزة فهمي حُلِي النوبة بقولها: "حُلِي النوبة كنز من كنوز الحُلِي في مصر" (أشرف عويس، ٢٠٠٦، ص. ١١٠). القرط أو الحلق من أكثر الحُلِي شيوعاً بين النساء في النوبة، حيث يمتلكه الفقيرة والغنية على حد سواء. ومن أنواع الأقراط المشهورة "القرط البلتاي" أو "الزمام"، الذي يتخذ من الهلال تصميمًا، ويزينه النقش التقليدي النوبي باستخدام مثلثات متجاورة. كان يُصنع من الفضة قبل بناء السد العالي، ولكن بعد التهجير تحول الفضة إلى الذهب. كما يوجد "أوكن تميم" أو "قرط الفدو"، وهو قرط ذهبي على شكل الهلال، أصغر حجمًا ووزنًا من أقراط "البلتاي"، ويزخرف بثلاثة صفوف من المثلثات المحفورة في وسطها تاج تحيط به أوراق أغصان نباتية وزهور (عزة فهمي، ٢٠٢١، ص. ١٢٠). يبدع النوبيون في صناعة حُلِي المرأة حتى الرأس، فلا ينسونها، فيصنعون لها "حلية الشاوشاو" من الفضة لتعلق على جانبي الرأس، فتسدل بجوار الأذنين حتى تصل إلى الأكتاف. ويرتبط بين طرفي الحلية شريط يمر ويثبت فوق

الرأس، لكن الأجيال الحديثة قد صنعتها من الخرز. تمثل الحلي في الأفراح عادة أصيلة، حسب اختلاف القبائل. يقدم العريس لعروسه "فضة الرحمن"، وهي قطعة ذهبية مثلثة توضع على الجبهة وتلبسها المتزوجات فقط. كما هناك "الجاكيد" وهي ست دوائر ذهبية مربوطة بجبات من الخرز، تتوسطها دائرة ذهبية محفور عليها عبارة "ما شاء الله". كما يقدم العريس في الصباحية الخلخال ويسمى "الحجل"، وهو مصنوع من الفضة. أيضًا لا ننسى اليد للمرأة النوبية، حيث صنع لها "قلادة البيق"، وهي قلادة تشبه الكردان، مصنوعة من عيار ٢١ وتتكون من ٦ خطوط مسطحة مخروطية الشكل، عليها رموز وزخارف بارزة ونجوم (محمد أبو شنب، ٢٠٢٤، ص. ١٨٣).

رابعًا: ملابس المرأة النوبية:

تتمتع المرأة النوبية بخصوصية في ملابسها، حيث تميزت بارتداء "الجرجار"، وهو رداء شفاف من قماش الشيفون أو الدانتيل الأسود المطرز، ذو أكمام واسعة وطويلة تتجاوز رسغ اليدين. يبدأ من منطقة الخصر ويمتد حتى ما قبل الركبة، ويضم من ١٠ إلى ١٥ كسرة عرضية، وينتهي بأطراف مكشكشة. يتميز الجرجار بطوله الذي يزيد من الخلف ليداري أقدام المرأة عند السير به، بينما لا يتجاوز طوله كعب القدم من الأمام. كما يترافق مع الجرجار طرحة من نفس نوعية القماش المصنوع منه، طولها متران، تُلف حول الرأس لتغطية الكتفين والصدر، وتظهر دائرة الوجه فقط. ورغم استمرار "الجرجار" كصفة من صفات ملابس النساء في النوبة، هناك تراجع ملحوظ في ارتدائه من قبل الشابات النوبية، وذلك لعدة أسباب، أهمها غلاء سعره مقارنة بسعر العباءات الخليجية التي باتت تفضلها نساء النوبة لتعدد تصميماتها (أحمد عزيز، ٢٠٢٠، ص. ١٣٤).

الحنة في المجتمع النوبي: تعتبر شجيرات الحنة من نباتات المناطق الحارة، وقد اشتهرت النوبة بزراعتها وتصديرها. وتُعتبر النساء في النوبة ماهرات في رسم الحنة. الاسم العلمي لنبات الحنة هو *Lawsonia inermis*، أما الاسم المصري القديم فهو "بوقر". تستخدم

الحنة في العديد من الطقوس النوبية، اعتقادًا من النوبيين في قدرتها على طرد الأرواح الشريرة. على سبيل المثال، يتم استخدامها في ليلة الحنة، وفي الختان، وفي الزار، وفي التئام الجروح، وكذلك في صناعة العطور وبوكيهات الأزهار (محمد صبحي، ٢٠٢٤، ص. ٩٨). تعد الحنة من أدوات التجميل الرئيسية للنوبيين، وقد نقلتها النساء النوبيات إلى نساء مصر. وعلى الرغم من الاعتقاد السائد بأن رسم الحنة يقتصر على الفتيات فقط، فإن الحنة في النوبة توضع أيضًا للرجال، ولكن بطرق ورسومات مختلفة (محمد مسعد، ٢٠٢٣، ص. ١١٢). **المكحلة النوبية**: تستخدم المرأة النوبية حفيدا الفراعنة المكحلة لتجميل عيونها. تحتفظ المرأة النوبية بكحلها في إناء نحاسي صغير الحجم يسمى "قدوس"، ويستخدم لوضع الكحل السائل. كما تستخدم المكحلة أيضًا لتكحيل المولود، إما لتجميله أو لحمايته من الحسد.

خامسًا: مشاركة المرأة النوبية في الحكم:

إذا تتبعنا تاريخ المرأة النوبية، سنجد العديد من الملكات اللاتي كان لهن دور بارز في حكم الجيوش والمشاركة في الحروب. من أبرز هذه الملكات: الملكة أماني ريماس (٤٠ - ١٠ ق.م): كانت "الكنداكة" (تسمية الحاكمات الإناث في الممالك النوبية) التي حكمت مملكة كوش الأفريقية القديمة، وعاصمتها مروي، الواقعة فيما يُعرف الآن بدولتي السودان وجنوب السودان. خلال فترة حكمها، نجحت في قيادة الجيش الكوشي ضد الرومان في حرب استمرت نحو خمسة سنوات. وتعد اليوم من أشهر ملكات مملكة كوش، وعادة ما يُشار إليها في المصادر التاريخية باسم "الملكة ذات العين الواحدة"، لأنها فقدت إحدى عينيها أثناء المعارك (نيللي عادل، ٢٠٢٣، ص. ٤٥). الملكة كنداكة أماني شاخيتي (١٠ ق.م - ١ م): احتلت العرش بعد الملكة أماني ريماس، وشيدت العديد من المعابد والقصور. الملكة أماني تيري (١ - ٥٠ ق.م): عُرفت باسم "الملكة المحاربة" ويُقرأ اسمها في الهيروغليفية بـ "ميدكير". شاركت في الحكم مع الملك نتكاماني بعد كنداكة "أماني شاخيتي". قصرها الملكي لا يزال موجودًا في جبل البركل شمال

العاصمة السودانية، وقد أعلنته اليونسكو أحد مواقع التراث العالمي في ٢٠٠٣. امتد نطاق حكمها من النيل الأزرق وحتى نهر عطبرة (آخر روافد النيل في شمال شرق السودان) (مريم صابر، ٢٠١٦، ص. ١١٢). ثورة ٢٥ يناير وتأثيرها على المرأة النوبية كان لثورة ٢٥ يناير أثر كبير على المرأة النوبية في الحياة السياسية، حيث شكلت الثورة في النوبة ثورتين: الأولى ضد النظام واستبداده، والثانية ضد العادات والتقاليد. قبل الثورة، كانت المرأة النوبية لا تجلس في المقاهي ولا تتحدث أو تجتمع مع أحد. لكن مع حلول الثورة، شاركت المرأة النوبية في المظاهرات وتحررت من القيود النوبية (وفاء عشيري، ٢٠١٨، ص. ٦٧). قافلة العودة النوبية: حدث بالفعل قافلة العودة النوبية بمشاركة رجال ونساء النوبة، حيث اشتركت النساء لأول مرة مع الرجال بأياد واحدة. اعتصموا للمطالبة بعودة أراضيهم خلف السد. كانت هذه القافلة تعرف بالقافلة النسوية، نظرًا لمشاركة النساء النوبيات، وخاصة الناشطات في العمل السياسي، كما ساهمت النساء في جذب النساء الأخريات للمشاركة في هذا الاعتصام. كانت المرأة النوبية تتشاور مع الرجال، وكان رأيها يحظى بالاحترام والمشاركة الفعالة في هذا الحدث (عين نسوية على قافلة العودة النوبية، ٢٠١٦، ص. ٨٠).

- خاتمة:

من خلال استعراض الدور التاريخي والمكانة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة النوبية، يتضح أنها كانت ولا تزال تشكل حجر الزاوية في الحفاظ على الهوية الثقافية والنضال الاجتماعي للمجتمع النوبي. فقد أظهرت المرأة النوبية عبر العصور قدرتها الفائقة على التكيف مع التغيرات البيئية والاجتماعية، بدءًا من الفترات القديمة التي شهدت حكم الملكات النوبيات العظيمات مثل ريماس شاخيتي، وصولاً إلى مشاركتها الفاعلة في التحولات الاجتماعية والسياسية الحديثة، مثل ثورة ٢٥ يناير وقافلة العودة النوبية. كما أن المرأة النوبية برعت في العديد من المجالات مثل الحرف اليدوية والتجميل، من خلال حليها وزينتها، فضلاً عن دورها الحيوي في الحفاظ على الثقافة النوبية عبر الأجيال من خلال نقل اللغة والعادات والتقاليد. إن حضور المرأة النوبية في كافة مناحي الحياة لم يكن فقط على صعيد الوعي الاجتماعي، بل شمل أيضًا مشاركتها الفاعلة في القيادة

والحكم. ورغم التحديات التي واجهتها في ظل التحولات المجتمعية والسياسية، لا شك أن المرأة النوبية تظل رمزاً للقوة والصمود، محافظة على توازن المجتمع وتقاليده، مما يعكس قوتها في كل المجالات، وتفرداها في المجتمع الشرقي بشكل عام.

نتائج الدراسة

١. **الدور الاجتماعي:** شكلت المرأة النوبية نواة الأسرة، حيث كانت مسؤولة عن نقل العادات والتقاليد إلى الأجيال الجديدة، من خلال المشاركة في المناسبات الاجتماعية والاحتفالات.

٢. **الدور الاقتصادي:** ساهمت المرأة في الأنشطة الاقتصادية مثل الزراعة، الحرف اليدوية، والتجارة، مما عزز استقلاليتها الاقتصادية.

٣. **التحديات والتكيف:** تعرضت المرأة النوبية لتحولات عديدة نتيجة الهجرات القسرية والمشاريع التنموية التي أثرت على البنية الاجتماعية، ولكنها تمكنت من التكيف والاستمرار في الحفاظ على الهوية الثقافية.

مناقشة وتحليل تشير النتائج إلى أن دور المرأة النوبية كان محورياً في الحفاظ على التراث الثقافي وتكيف المجتمع مع التحولات المختلفة. من خلال ربط النتائج بالنظريات الاجتماعية، يتضح أن المرأة كانت عنصراً أساسياً في الاستقرار الاجتماعي والثقافي للمجتمع النوبي. على الرغم من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، فإن دورها ظل ثابتاً ومتجذراً في النسيج الاجتماعي.

الخاتمة والتوصيات

توصلت الدراسة إلى أن المرأة النوبية لعبت دوراً فاعلاً في الحفاظ على التراث الثقافي والتكيف مع التحولات الاجتماعية. يُوصى بمزيد من الدراسات الميدانية حول دور المرأة النوبية في المجتمعات الحديثة، مع التركيز على كيفية تعزيز دورها في التنمية المستدامة والحفاظ على الهوية الثقافية.

قائمة المراجع

- أبو بكر، عبد المنعم. (٢٠٢٢). تاريخ النوبة القديم: دراسة في الحضارات الأفريقية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أحمد، حسن. (٢٠١٥). المرأة والعمل في المجتمعات النوبية: بين التقاليد والتحديث. الخرطوم: مركز الدراسات الأفريقية.
- أحمد، سلوى. (٢٠١٩). دور المرأة في المجتمع النوبي: دراسة سوسيولوجية. الخرطوم: مركز الدراسات السودانية.
- بسام، علي. (٢٠٢١). الأنثروبولوجيا الثقافية: دراسات في المجتمعات التقليدية. القاهرة: دار المعارف.
- جاد، نوال. (٢٠١٦). الهوية النسوية في المجتمعات الأفريقية: المرأة النوبية نموذجًا. بيروت: دار الساقي.
- الحاج، محمد الأمين. (٢٠١٨). الهوية الثقافية للنوبة وتأثيرها على المجتمع المصري والسوداني. بيروت: دار النهضة العربية.
- خليل، عبد المجيد. (٢٠١٨). النوبة القديمة والحديثة: دراسات تاريخية وأثرية. الإسكندرية: دار المعرفة.
- دافيد، ألكسندر. (٢٠١٥). The Nubian Kingdoms and Their Influence on Ancient Egypt. Oxford: Oxford University Press.
- دسوقي، مروة. (٢٠٢١). الحياة الاجتماعية في النوبة بين الماضي والحاضر. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية.
- سعد، أحمد. (٢٠٢٠). دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية للمجتمعات النوبية. الخرطوم: دار الفكر المعاصر.

- سليمان، عبد الله. (٢٠١٨). الهجرات النوبية وتأثيرها على الثقافة المصرية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- طه، محمد. (٢٠١٩). المرأة النوبية والمشاركة السياسية في العصر الحديث. القاهرة: دار النهضة العربية.
- عابدين، هالة. (٢٠١٧). تحولات الدور الاجتماعي للمرأة في المجتمع النوبي عبر العصور. بيروت: دار الجيل.
- عبد الرحمن، لبنى. (٢٠٢٠). النوبة في العصر الفرعوني: دراسة تاريخية وأثرية. الخرطوم: جامعة النيلين.
- عبد المجيد خليل. (٢٠١٨). (أصول النوبة عبر العصور). الإسكندرية: مركز الدراسات الأفريقية.
- عكود، فؤاد. (٢٠٠٧). المجتمع النوبي: الجذور الثقافية والتغيرات المعاصرة. القاهرة: دار الهلال.
- عمر، زينب. (٢٠٢١). المرأة النوبية والموروث الثقافي: دراسة إثنوغرافية. الخرطوم: جامعة الخرطوم.
- فؤاد عكود. (٢٠٠٧). (التاريخ النوبي العريق). القاهرة: دار النشر العربية.
- كمال، يوسف. (٢٠١٦). نوبة مصر والسودان: تاريخ وثقافة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- محمد، شريف. (٢٠١٩). المجتمعات النوبية والهجرة القسرية: دراسة اجتماعية. الإسكندرية: دار الكتاب العربي.
- مرسى، إبراهيم. (٢٠٢٢). دور النوبة في التاريخ المصري القديم. القاهرة: الهيئة العامة للآثار.

- مورو، روبرت ج. (٢٠١٦). *The Land of Nubia: Ancient Civilization and Culture*. New York: Cambridge University Press.
- هاشم، عادل. (٢٠١٧). النوبة والموروث الشعبي: دراسة إثنوغرافية في العادات والتقاليد. القاهرة: المركز القومي للبحوث.
- Hafsaas-Tsakos, Henriette. (2009). *The Cultural Identity of the Nubians Through the Ages*. Leiden: Brill.
- Kamrin, Janice. (2020). *Ancient Nubia: An Illustrated Guide to Its History and Culture*. Los Angeles: Getty Publications.
- NAC. (2018). *Nubian Heritage and Its Influence on Egypt and Sudan*. Washington DC: National Geographic Society.
- National Geographic Society. (2018). *Ancient Nubia: A Forgotten Kingdom*. Washington, D.C.
- Necia, Desiree. (2006). *Nubia: The Forgotten Kingdoms*. London: Routledge.
- O'Connor, David. (1993). *Ancient Nubia: Egypt's Rival in Africa*. Princeton: Princeton University Press.
- Peter, John. (2013). *Prehistoric Nubia and Its Cultural Evolution*. Oxford: Blackwell.
- Peter, T. (2013). *Nubian Archaeology: Past and Present*. Oxford: Oxford University Press.
- Saheed, Ahmed. (2017). *The Nubian Pharaohs: Black Kings of Egypt*. New York: American University Press.
- Saheed, M. (2017). *The Kushite Kingdom: Influence and Legacy*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Smith, Henry. (1996). *The Kingdom of Kush: History and Archaeology*. Boston: Harvard University Press.
- Walter, Emery B. (2008). *Nubian Monuments and Their Significance in Ancient Egyptian Civilization*. London: British Museum Press.

Women in Nubian Society: A Historical Sociological Perspective

Abstract

This study examines the role of Nubian women from a sociological and historical perspective, highlighting their social, economic, and cultural contributions in preserving Nubian identity. Utilizing a qualitative ethnographic methodology, the study analyzes historical sources, interviews, and document reviews. Key research questions include: How has the role of Nubian women evolved over time? What factors have influenced their participation in society? The study is framed within structural functionalism and cultural anthropology theories to understand the changes and challenges faced by Nubian women. Findings suggest that Nubian women played a crucial role in cultural transmission and adaptation to socio-economic changes, reinforcing their significance in maintaining Nubian heritage.

Keywords: Women؛ Nubian؛ Society